قصة قصيرة

النهر

بقلم خوليو كورتاثار
ترجمة: نهاد الحليك

ذهبت قائلةً ما لست أدري، إنك سترمين بنفسك في نهر السين، أو شيئاً من هذاالقبيل. إذاً، وفي هذه الساعة، أنت غريقة، أو لعلك ما زلت تقاومين، وجسدك يصارع الموت. أفتح عينيّ، الغرفة قاتمة، وثمة شعاع رقيق مُخْضَرّ ينسلّ من النافذة ويلعق أقدام السرير. سيبزغ النهار ولكن لماذا لا تزالين هنا إلى جانبي نائمة وتلهثين قليلاً؟ لقد ذهبتِ مساء البارحة قبيل أن أنام، ذهبتِ لترمي بنفسك في السين. هل عدلتِ عن ذلك؟ أتخافين؟ كنتُ نائماً وأحلم بغير وضوح بفطرٍ ينبغي ألاّ يؤكل وبخالتي التي ستكوي قمصاني. وها أنتِ هنا، شبه ملتصقة بي، تكادين تتحركين كما لو أن شيئاً ما يعتمل بهدوء في غفوتك، كما لو أنك تحلمين بأنك ذهبت لتغرقي نفسك في السين.

إنك لمُضحكة بقراراتك الخطيرة، وأسلوبك في صفق أبواب الحياة كل مرة كأنها المرة الأخيرة. لا بد من السؤال هل تؤمنين حقاً بتهديداتك، وابتزازاتك المقيتة ومشاحناتك اللامحدودة؟ تستحقين من يفوقني موهبةً ليشاركك الحوار، وسنرى عندئذ قيامَ الأسرة الأكمل، والنتانة الشهية لزوجين يتقاتلان بلا توقف لكسب بعض التأجيل، للبدء من جديد والبحث دون كلل عن حقيقتهما المبتذلة والمقيتة.

ولكنني اخترت الصمت كما ترين، أشعل سيجارة وأنظر إليك تحكين وتتذمرين (بحق ولكن ما حيلتي؟) أو أنام كمن هدهدته لعناتُك. أتابع لبعض الوقت، بعينيّ شبه المغمضتين ولكن المتيقظتين، حركاتك الشبيهة بتلك التي تؤديها ممثلة درامية بائدة، أرقب ظلك في زجاج الخزانة وعندما أغفو أحمل معي أفضل إيقاعاتك، والصوت الصَدَفي المنبثق من شفتيك اللاذعتين المتمردتين، احملها لمنفعة أحلامي أنا ،حيث الغرق غير وارد إطلاقاً، صدقيني.

ولكن، ماذا تفعلين بعد في هذا السرير الذي قررتِ مغادرته إلى آخرَ أوسع؟ تنامين، تحركين من حين لآخر ساقاً أراها ترتسم تحت الغطاء، تبدين حَرِدةً، وعلى شفتيك علامة ازدراء، أو ربما علامة حزن، وينفذ من حلقك نَفَس خفيف شبه متقطّع سرعان ما تخنقه الغرفة في غبشها المُخْضَرّ. أعتقد أنني لو لم أزل إلى هذا الحدّ ساخطاً على تهديداتك المصطنعة، لرأيتك جميلة ولشعرت تجاهك بالرغبة من جديد. أما الآن، وبعدما تعودت عيناي على غبش هذا الفجر الداخلي، وهو النسخة الخافتة للفجر الآخر المولود من الديكة وصفائح الحليب في الشارع، الآن بدأت اسأل نفسي هل ذهبتِ فعلاً مساء البارحة، وهل أنتِ حقاً من صفقت الباب خارجةً، في حين تركتُ نفسي إلى انزلاقها نحو نسيانٍ تَحَرَّرَ أخيراً من حضورك؟ يجب أن

ألمسك للتأكد من أنك أنت حقاً، تتنزه أصابعي بخفّة على كتفك التي ترتعش وتتوارى. إن الغطاء لا يغمر منك إلاّ النصف، وأرى نهديك من خلال قميصك الأزرق الباهت، ألمس خُدَيْدَ صدرك الناعم، وأتنشّق بانحنائي لهاثك الذي برائحة الليل والشراب. لست أدري كيف ضمّك ذراعاي، أسمع ما يشبه الأنين، والرفض، ولكننا نعرف جيداً هذه اللعبة نحن الاثنين لكي تنطلي علينا، يجب أن تهبيني فمك، جسدك المخدَّر يحاول عبثاً الإفلات مني، نحن أكثر تشابهاً مما ينبغي التمييز واحدنا عن الآخر في تحابك اللفيفة هذا، حيث يتصارع الصوف الأبيض والصوف الأسود، وفي هذا الاعصار الذي تنحلُّ فيه ريحان متناقضتان إلى غبار.

الغطاء هو شراع يهوي ويتسطّح على الأرض. نحن عاريان الآن، يغمرك ظل الفجر المضيء مثلي، لكنك تتشبثين بالمقاومة، يتقوّس جسدك ويتلوّى، ترسلين ذراعيك فوق رأسي مفرجةً فخذيك بسرعة خاطفة لضمّهما من جديد مثل كمّاشة هائلة تريد فصلي عن ذاتي نهائياً. عليّ السيطرة عليك بهدوء (اعترفي بأن هذا ما كنت أفعله دائماً بأناقة وأنجزه باحتفال) من دون أن أسبب لك ألماً، ولماذا أؤلمك طالما أني أحبك هكذا في أوج مقاومتك؟ وأتوصل إلى تجميد إحدى ذراعيك تحت مرفقي، وأعلّق شفتيّ بشفتيك وأنتظر في حمّى مموسقة تُغنّي لحناً حاداً كتصفيرٍ يخترق الظل، ثم أشعر أنك تضعفين، وتغدو أنّاتك الناعسة هديلاً، ها أنا في داخلك، وأنت التي تتشبثين بمقاومتك مسحوقةً وسعيدة (نعم، أعرف أنك سعيدة ولكن لا بدّ أن تقاومي بعد، حتى في قلب النسيان) والآن يتباطأ إيقاعك، يفتر، يتجوّف بحركات بطيئة مثل نسيج متموّج يُبسط ويُطوى، تتلمّسين سكينتي من أخمص قدميّ حتى شعري، اشعر بتراجع الحمّى وألقي بكل ثقلي عليك مسحوقاً باللذة التي تسلمني إلى الليل والنعاس. أمسّد بحركة غير واضحة شعرك الراشح على الوسادة، أنظر إلى يدي المبللة في الغبش المخضّر، وقبل أن أنقلب على جانبي وأنام، أعرف أنهم سحبوك لتوّهم من المياه، متأخرين طبعاً، وأنك ملقاة على ظهرك، شعرك مبعثر على حجر الرصيف، في حين استدير وأتسلّل هارباً، في حين أنسحب من بين أصابعهم، غيرَ ناضبٍ وبعيدَ المنال في سريري الذي يحملني إلى البحر، إلى نساء أخريات وأحلام أخرى.

صدر حديثاً

الرواية العربية:
النشأة والتحوّل

تأليف الدكتور محسن جاسم الموسوي

منشورات دار الآداب